محمدية فقد كتب يصف الكتاب : « هي رواية ، وهي قصص قصيرة في الوقت نفسه ... وهذه هي معادلتها الصعبة »(١).

غير ان معظم هؤلاء النقاد — كما يبدو — لم يفرقوا بين طبيعة الرواية بوصفها فنا ذا خصائص، ومزايا جوهرية مستقلة عن غيرها من خصائص القصص ، وبين القصة القصيرة ذات الخصائص المميزة ، وهذا يوجب علينا ان نوجز ما نرتأيه حول طبيعة فن الرواية .

والواقع ان جميع ما كتب حول فن الرواية يتفق تمام الاتفاق على تعريف واحد لها . فهي في الغالب الاعم حكاية ، يسيطر عليها الحس بالزمان . اذ انه ينتظمها من البداية حتى النهاية. سواء أكان انتظاما تصاعديا او تنازليا . وحتى تلك الروايات التي كتبها أصحابها ليثبتوا أنهم يستطيعون الاستغناء عن عامل الزمن فانها من أكثر القصص تكريسا له ، أعني روايات تيار الشعور. فهي كتلة من الشعور المتزامن .

ولما كان الزمان عنصرا هاما في الرواية ، ينتظم احداثا ، واشخاصا ، فمن تحصيل الحاصل ان تكون الرواية ذات بنية مترابطة ، عضويا . وهذه حقيقة تجابه أي قارىء لاية رواية كلاسيكية، او حديثة . وحتى تلك الاعمال التي يعدها أصحابها مفككة — بلا حبكة — هي من الترابط والتماسك بحيث حلت علاقات الانفصام محل التشابك ، والتماس . فأي انسان يستطيع ان يدعي — بعد قراءة رواية من الروايات الحديثة — انها تفتقر الى الترابط ؟.

وما يتميز الرواية عن غيرها من الفنون طابعها الشمولي . فهي عمل يدور حول قطاع كبير من مجتمع ، ولو ان بعض الروايات تركز في المقام الاول على شخصية او اثنتين ، فمن خلال العلاقات ، تبرز تلك الجماعات البشرية التي تشارك في رسم الصورة العامة للرواية وأحداثها.

من خلال هذه المنطلقات نستطيع ان نميز بين الرواية والقصة القصيرة . فمن المتفق عليه ان القصة القصيرة تعتمد على الموقف العاطفي ، او النفسي لشخصية واحدة ، في شريحة حنيفة من عمر الزمان ... مكتوبة بلغة مشحونة ، أقرب الى الشعر منها الى لغة النثر العادي . ومهما تعددت، واختلفت ، أنماط القصص القصيرة فانها تتفق على هذا المحور الذي يكاد يخرقها جميعا ، بلا استثناء ...

واذا رغبنا في اخضاع « سداسية الايام الستة » لهذا التحليل ، وتلك المناقشة ، وجب ان نرفض — لا بشكل قطعي — كل ما قيل عن وحدة الرواية والقصة القصيرة في هذا العمل . فلو كانت السداسية رواية بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح لما التبس على النقاد المذكورين فيخلطوها بالقصة القصيرة . ولو كانت المجموعة قصصا قصيرة محضة لما التبس عليهم فيخلطوها بالرواية . اذن ؟ ما طبيعة هذا العمل الفني ؟.

بمعزل عن الرؤية البانورامية للمجموعة كاملة نستطيع ان نعد كل لوحة منها قصة قصيرة متكاملة الجوانب ، بارزة المعالم والملامح .

فاللوحة الاولى « حين سعد مسعود بابن عمه » قصة قصيرة ، ذات موقف نفسي واحد ، هو شرح وتبيان لمشاعر الصبي الذي اكتشف بعد الخامس من حزيران ان له اعماما وأبناء أعمام . وانه — وهو المقيم في فلسطين المحتلة — له امتداد في الضفة الغربية ، بل في الكويت ...

لا ترتكز القصة على سرد لجزئيات الموقف من خلال اللقاء شبه التاريخي بين مسعود وابن عمه سامح . واذا قرأنا كل قصة من القصص ، بمعزل عن الاخرى وجدناها مثل القصة الاولى .

فقصة « العودة » : تحليل نفسي للحظة زمنية يمر فيها أحد عرب الناصرة ، حين يزور القدس في الذكرى الاولى للخامس من حزيران . وعودة « جبينة » قصة مماثلة ، فهي تتركز حول تحليل مشاعر فتاة عادت الى أمها في الارض المحتلة بعد فراق دام عشرين عاما . وقصة « الحب في قلبي » عبارة عن ثلاث رسائل تجسد الواقع النفسي الذي تحياه مناضلة من المناضلات المعتقلات في سجن الرملة بفلسطين المحتلة .

ويعزز قولنا عن هذه اللوحات بأنها قصص قصيرة ما قدمنا به لهذه الدراسة . فحين وصلت اميل حبيبي طريقته في كتابة القصة اوحى لنا بأن القصة الاخيرة — الحب في قلبي — ذات أجواء مختلفة عن اجواء غيرها من القصص . وهي ثمرة معاناة طويلة ، تضرب جذورها في تلك اللحظات